غرام الكبار

رسائل مي زيادة للكرملي

obeikan.com

obeikan.com

هذه كوكبة أخرى جديدة من الرسائل المتبادلة بين مي زيادة والأب أنستاس ماري الكرملي الراهب الكبير وأحد سدنة اللغة العربية .

لقد كتب الكثيرون عن مي زيادة وأعيد طبع مؤلفاتها وما كتب عنها مرارا واهتمت بعض الدوائر الثقافية في الوطن العربي وخارجه برصد تراثها وما يتعلق به ولكن حسب علمنا لم يتطرق أحد لأمر رسائلها مع الأب الكرملي (١٨٦٦-١٩٤٧) وهي الرسائل التي تنشر لأول مرة وفيها من الفوائد الأدبية والتاريخية ما يعد شيئا مهما في سيرة مي وأدبها خاصة أنها كتبت مابين ١٩٢٠ - ١٩٢٥ وهي الفترة التي اشتهرت فيها مي زيادة كأديبة رقيقة تتطلع اليها أفئدة شيوخ الادب أمثال العقاد والرافعي ويكن والزهاوي .

ويبدو لي من هذه الرسائل أن أسلوب مي في كتابة رسائلها وما يتخللها من سطور رقيقة لايقوى على تسطيرها إلا العشاق المغرمون هو الذي دفع العديد من الأدباء للاعتقاد بأن صار الحبيب الذي تبث الانسة مي إليه لاعج الحب وآهات الغرام وربما كان الشيخ كاظم الدجيلي (المتوفى سنة ١٩٧٠) أحد هؤلاء الذين افتتنوا بأسلوب مي ورسائلها فنظم تلك القصيدة المشهورة والمهم هنا أن رسائلها للكرملي كتبت وهي في تكاملها العقلي قبل المحنة التي ألمت بها في السنين الأخيرة من عمرها حيث تكالب عليها مرض (العصاب) وجعلها نزيلة أحد المشافي الخاصة بالأمراض العصبية كما هو معروف لمتتبعي سيرتها ولا ادري هل أن محنتها بدأت منذ عام ١٩٢١ أو لا ؟ ففي رسالتها المؤرخة في ١٤ آب ١٩٢١ كتبت تقول للكرملي: وكأني ابتليت بالأرق المتتابع مما أدى بي الى انحطاط عصبي عام)..

وهذا مايهم المعنيين بسيرة هذه الأديبة الفذة ويضيف الى معلوماتهم فائدة تاريخية مهمة كما ان المعنيين بتراثها سيسرهم العثور على هذه الاضمامة الرقيقة من (حدائق مي) خاصة أنهم رصدوا كل كبيرة وصغيرة من آثارها حتى إنَّ إحدى المجلات

العربية افتخرت يوما بعثورها على أغلفة كتب عليها كلمات إهداء وتوقيع مي .

وقد عُثِرَت عليها ضمن المخلفات الخطية للاب انستاس ماري الكرملي ببغداد .

■ الرسالة الأولى :

٢٨ شارع المغربي .

القاهرة في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٠

أبتِ ..

جاء خطاباك الشيقان وعددان من (دار السلام) في أحدهما مقال مجنح عن كتاب (باحثة البادية) تناولت إزاء هذه الثروة الجليلة بعظم موهبة الكتابة والمراسلة عاش من ابدع الريشة وشق القصبة ولو كان الها ميثولوجيا وعاش تحالف البريد الدولي وإن اظلت سقوف دواوينه نصوص رسائل وصحاف ولم تذهلني رغبتك في مكاتبتي قبل اليوم لأنه يخيل إليّ أنَّ كل رغبة تحمل في ذاتها بذور تحقيق ذاتها وأنَّ كل أمنية إنّما هي إنذار بمقدور أما عندي فقد تولدت الرغبة منذ شهر مايس ١٩١٩ اذ كنا نتناول الشاي في منزل الدكتور صروف مع المستشرق الانكليزي الاستاذ مرجليوث بعد عودته من العراق حيث قال إنَّه تشرف بالاجتماع بك وأخذ العالمان يتحدثان عن تلك الشخصية الكبيرة التي تخفي نفسها وراء تعدد الاسماء المستعارة فلا تختفي ولا يزيدها التكتم إلا تشعا وظهورا وعلى ذكر الدكتور صروف أقول إنِّي سارعت وسألته عن مقالة (الحنفاء) فأجاب إنَّه منتهز هذه الفرصة ليسر بالكتابة اليك مباشرة والدكتور شديد الإعجاب بك لا أعني ذلك الاعجاب الذي لايدرك نفسه وكثيرا إمّا يتعب موضوعه إعجاب الجمهور وإنما إعجاب العالم الهادئ الذي يقدر لأنه يتأمل ويفهم.

يجذبنا اسم العاق ونحن إليه حنين الأخ المتألم إلى اللامتألم نحن إليه خصوصا

نحن السوريون لما يوحدنا واياه من ماض عربي قريب وماض بعيد غاطس في غلس التاريخ لذلك نهم بكل مايكتب في هاتيك الربوع وتشوقنا حالتها الفكرية والنفسية. ولذلك نشعر شديدا بوطأة الظلم اذا كان الظلم عراقيا.. والشيخ كاظم الدجيلي الذي اضطهدني اضطهادا نيرونيا في اثنتي عشرة صفحة مستهلا باسمي تكرارا جاء يأسو بعدئذ بقصيدة حسناء تصلح لأي فتاة من أي أمة في أي عصر!!! ولكني أميل إلى نسيان الأذى بفطرتي تشهد لي بذلك نسخة من (باحثة البادية) أقدمها إلى حضرة الشيخ كاظم راجية من لطفك عذرا إذا أرسلتها بعنوانك وهل من عجب أن يضم ناديك كل نابه وحصيف من أدباء العراق وأن تقصد إليه لتصافحهم فيه كل روح آتية من بعيد.

أما قول إخواننا هناك أن لي من يكتب عني وينقح لي فقد سبقهم إليه إخواننا في مصر فصاروا يبحثون عن هذا الذي يضحي نفسه لأجلي فوجدوا لابي اهتماما عاديا بموضوعات تهمني شديدا وعلموا أن لا أخوة لي لأني وحيدة أبوي واقتنع زوارنا إن الذي يعمل لي قد اختبأ في دماغي ليكون طوع آمري في كل كلمة اقولها وكما شاءت الأحوال أن أقف خطيبة قاموا يشبهون ما أكتب بما أقول !

اشكر لك همة تحدو بك إلى طلب ترجمتي لتستخرج منها ما يقطع لسان كل مكابر أنا باعثة إليك ببعض الصحف والمجلات التي كتب فيها عني أشخاص عرفوني كذلك اهدي إليك نسخة من ديواني الفرنساوي و(ايزيس كوبيا) اسم أوقع به ما انشره بالفرنساوية والإنكليزية كما أني أكتب أحيانا بالعربية باسم (خالد رأفت) أكثر صفحات (أزهار الحلم) كتبت على مقاعد المدرسة والباقي في الشهور الأولى بعد عودتي إلى البيت حيث مازلت أتابع دروسي فلا شك عندي انك ستنظر إلى الروح من دون الجسم على أني أرجو أن ترد إليّ المجلتان ونسختا (المحروسة)

لئلا تنقص عندي هذه المجموعات وأطلب إليك أن لاتحاول إقناع أحد. ان ما أطمع فيه هو نشر أفكاري ومادمت حاصلة على الأمر الجوهري فما نصيب العرض مني سوى الإغفال وعدم الاكتراث.

بل أظن من تتبع كتاباتي منذ ١٩١١ وهو العام الذي بدأت فيه بمعالجة القلم. يعلم أن التي كانت تكتب يومئذ لم تكن سوى تلميذة حائرة الفكر مرتبكة التعبير لأنها لم تكن تعرف من العربية غير المبادئ البسيطة التي تدرس في المدارس الأجنبية وذات الصبغة الأجنبية ثم أخذت تنمو قليلا قليلا باحثة عن الكلمة التي قدر لها أن تقولها في الحياة وقد زاد في نزعتها الفطرية إلى الاستقلال الفكري والأسلوبي إنها لم تدرس اللغة العربية في غير حبها لها إلا أن الكتابة التي لم تكن في البدء سوى ميل وسلوى صارت اليوم احتياجا عميقا صارت جوعا وعطشا صارت شعلة تتقد بين جوانحي وتفتا تفني نفسها لتحييها صارت سلطانا قاهرا يدفعني إلى الإفصاح عما يشغلني مسيرة غير مخيرة.

هذا اعتراف طويل لأنه اعتراف عام ويتراءى لي أني لا أقول ما تجهله بل أكاد أسمعك هامسا الوقت بعد الوقت: اعلم ما أكثر ما في هذه الجملة من رسالتك الثانية من نبل وكآبة وأي نفع عساني أن أنتظر وأنا قابض على ناصية السعادة بالعيشة التي انتمي اليها. ناحية السعادة ياأبتِ العزيز هي غير السعادة نفسها الي أن الشمس التي ترسل النور الى العالمين انها تتسع فيها كل يوم بقع الظلام؟ ولكن من ذا الذي قال ان السعادة غاية الحياة؟ إن الذي أوجد هذه الفكرة أساء الى الناس أجمعين اذ ما غاية الحياة الا الحياة والأبطال فينا الذين يستحقون الإعزاز والإجلال ليس أولئك المتنعمين بل هم ذوو الأرواح الكبيرة الدامية الذين يقضون أيامهم على الصليب هم كهنة المذابح وكهنة الأفكار وهم نور العالم لذلك تراني ألمس رسالة الكاتب منك متهيبة كأني أضع شفتي على أنامل الكاهن.

ابنتك مي

■ الرسالة الثانية :

٢٨ شارع المغربي

القاهرة في ١٤ اغسطس سنة ١٩٢٠

أبتِ ..

أتشرف بأن أتقدم إليك بنسخة من كتيبي (باحثة البادية) راجية قبوله تذكارا من فتاة بعيدة تكبر فضل الكاهن منك وتطرب لنفثات الكاتب وتعجب بأبحاث العالم إن في العلم ضربا من الكهنوت فما أجل الكهنوتين يجتمعان في شخص واحد مع الاحترام.

ابنتك المخلصة

مي

■ الرسالة الثالثة :

القاهرة في ٢٠ يونيه سنة ١٩٢١

أبتي

تتابعت الأسابيع حتى تكونت شهورا أعدها على أصابع اليد الواحدة وأنا لم أقم بعد بواجب الشكر نحوك ولم ألب داعي السرور والمنطلق من نفسي في ساعة احبسها على الكتابة إليك لم انعم بعد ذلك لما يتنازعني من شواغل وينهب من وقتي من إنجازها وفي وسط هذه الحمى الفكرية حرمت تلك السعادة التي نجدها في مناجاة القلوب الكبيرة والمدارك العالية ولكن كم من رسالة روحية أنفذتها إليك وكم حملني تيار الأثير الى ربوع بي إليها شوق وحنين ولو صحت نظرية التناسخ حسبت أني صرفت هناك عمرا سابقا أو قدر لي أن اقضي في العراق عمرا لاحقا أم كان هذا وذاك هجسا وحدسا وكفى أن تحوي الديار من نجل ونكبر وان تضم إخواننا يربطنا بهم الأمس والغد لتصير وطنا مختارا لطائفة من خواطرنا وسوانحنا. ماكان اكرم البريد يوم جاءني منك بأشياء خفيفة الحمل غالية الثمن تتالق منها الأجزاء تألق درر يأبى قلمي تثمينها فرادى لان الصور السماوية لاتتشكل الا بتجمع الكواكب انما اقول ان تقسيم ترجمتي في (دار السلام) وتبويبها وتنسيق جملها واستطراد الوصف فيها كل ذلك لو لم أكن أنا موضوعة لقررت انه شاهد جديد ينطق بالذوق المصفى والنظر الثاقب والرأي الحكيم أما شروح الأسماء الثلاثة فحسبها شهادة أنها من نتاج اليراعة البحاثة واعترف بلا خجل أني شعرت ازاء بعض دقائق الشرح بمثل ما شعر أبو النواس أمام حذاقي فسر له قوله:

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر

على أني خجلت أن ينسب إلي ما لم أفكر فيه من سبب تاريخي لانتحل تلك

الأسماء إني لم أتطاول إلى ادعاء الألوهية وكل ما ازعم هو اني إنسان كل الإنسانية هذه مفخرتي الوحيدة والله يعلم أن فيها مافيها من مرارة الحياة ومن حلاوتها أيضا.

وإذا سمحت لي أن أعود الى شرح لولا حب تقرير الواقع ما كان حريا بالانتباه قلت: اني التمست الاسم المستعار لنقل الاسم الفرنجي بعد مقال عربي ولأني شعرت من نفسي يميل الى نقد الشرقيين الذين يحسبون الاسم الفرنجي شارة الرقي رغم التنافر المضحك الذي يبدو غاليا بين اسم الفرد واسم عائلته فحاولت اخراج اسم عربي من حروف اسمي فاهتديت إلى أن أول حروف (ماري) وآخرها يمثلان اسما عربيا ما يحا غير غريب عن الشعراء والمتأدبين وهو في الوقت نفسه غير مبتذل إذ ندرت النساء المعروفات به بينما المدعوات بأسماء عرائس الشعر يكاد لايضبط عددهن إحصاء ومي أو MAY مستعمل عند الإنجليز كتصغير لماري وهكذا تعددت الأسباب التي رغبتني في هذا الاسم ولم يقم إزاءها معارضة واحدة كتنافر الحروف وصعوبة اللفظ وما شاكل فانتقته غير مترددة أما إيزيس كوبيا فتكاد تكون الترجمة الحرفية لماري زيادة إذ أن إيزيس أخت الإله وعروسه كما أن ماري أم الابن وعروس البحر وكوبيا اللاتينية إن لم تكن (زيادة) بالضبط فهي مرادفة لها.

ابنتك مي

■ الرسالة الرابعة :

رمل الاسكندرية سان استفاتو ١٤ اغسطس سنة ١٩٢١

ابتي ..

جئت بعد سكوت أسابيع أشكر تلك الكلمة العذبة التي أنقذتها الي من مرسيليا تحمل على إيجازها آية من آيات بلاغتك وشاهدا من شهود وداعتك وما لزمت هذا الصمت الطويل الا لأني هجرت القلم منذ تلك الأيام بسبب سقوط والدتي على ذراعها فأصبت في الكتف ووجع العظم المكسور مؤلم كل الألم للمريض ولذويه جميعًا وكأني أني ابتليت بالأرق المتتابع مما أدى بين الى انحطاط عصبي عام فأشار الطبيب بتبديل الهواء فجئنا هذه الربوع وضربنا خيامنا في حي الزرقة الفيحاء وصارت أعصابي بعد أيام تخضع خضوعا تدريجيا لسنة الكرى وأصبحت قادرة على لم شعث فكري لأكتب ان لم يكن صفحات فكلمات وأني لأكتب رغما عن نهي الطبيب وأمره بأن أستريح كل الشهور القائظة دون تحبير سطر واحد فالأطباء مستبدون وأنا أحب العناد وأنت يا أبتِ هذا هو السبب الجوهري فوق كل أمر ونهي ومناجاتك بركة حسنة العائدة على كل من سعد بتذوقها والتمتع بمحاسنها.

حبذا تلك المباغتة عند ذهابك إلى أوربا وحبذا تكرارها عند العودة! ليت ذلك بوجودك في القاهرة ولا يعادل ذلك الاغتباط عندي إلا ابتهاجي بالتعرف إلى ذاتك الكريمة إذ رأيت ان الشخص منك كالكاتب والعالم الذين أعرفهما وأكبرهما من قبل رفعا وفضلا وكمالا ما اجل واجمل تلك الشمائل الرهبانية في بساطتها الساحرة وهذا الشعور يشاركني فيه والداي اللذان يحفظان من مرورك أطيب التذكار وبيع من اعرف من الذين تشرفوا بمقابلتك في مصر.

لو كنت الساعة في القاهرة لكنت أرسلت إليك الخطب الذي كنت أكتب الثالثة

مـن صـحائفه عنـدما أعلمنـي الخـادم بوجـودك في الصـالون ولكنـي في رمـل الإسكندرية وليس لدي سوى هذا البحر العظيم ونحن على انسه وانبساطه لانـرى منه سوى موجات ليلة تزحف متكسرة على الشاطئ كذلك من كـل مـا تكنـه نـفسي لاقنومك السامي مـن احـترام وإعجـاب وإجـلال يـبرز عـلى هـذا القرطـاس سـوى إصداء لمدة ضعيفة ضئيلة فتفضل بقبولها على أنّها من فتاة مريضة هي **ابنتك** (مي)

سنعود الى مصر في أواخر الأسبوع الآتي وأرجو أن تـأتيني قريبـا أخبـار رحلتـك عسى أن تكون وفقت إلى كل ما تود الاهتداء إليه من أعلمية وتاريخية.

■ ■ ■

openkan.com

■ الرسالة الخامسة :

٢٨ شارع المغربي

القاهرة ٢٦ ابريل ١٩٢٥

أبتِ الفاضل

لقد هممت غير مرة بالكتابة إليك التماسا لإخبارك ولتقديم فروض التذكر والاحترام فأمسكت القلم كل مرة لما يساورني من الحيرة والتردد ولكني اليوم أصرح لنفسي أن أهنئك بعيد الفصح المجيد (ولو بعد انقضائه) وأن أرسل إليك هذا الطابع الذي تجده على غلاف خطابي فهو من الطوابع التي انشئت للمؤتمر الجغرافي والتي لا يجوز استعمالها إلا مدة هذا الشهر شهر ابريل.

وهل أكون مقتحمة لو أنا سألتك عن صحتك ورضاك وأعربت عن رغبتي في الوقوف على اخبارك- اذا كان ذلك في الإمكان وتفضلوا أيها الأب الجليل بقبول اسمى شعائر الاحترام من ابنتكم المخلصة (مي).

■ ■ ■

obeikan.com

■ الرسالة السادسة :

شارع المغربي

القاهرة ٢٩ ديسمبر ١٩٢٥

ابتِ المفضال

تعلن اليوم مصلحة البريد عن سفر البريد الهوائي إلى بغداد فأراني مسوقة إلى الكتابة إليك ولو كلمة واحدة لأهنئك بعيد الميلاد ورأس السنة وإذا حاول أن أحصي ما أتمنى لك تحقيقه خلال العام المقبل أقف حائرة فأسأل الله ان ينيلك كل ماتريد وأنت رجل الصلاح والنباهة فكل ما تميل اليه يكون صلاحا وخيرا.

وقد أبلغني يوسف إليان سركيس أفندي تحيتك وكلمتك اللطيفة فشكرت لك تفضلك بأن تذكرني وتذكر والدي وسرتني كل السرور عودتي الى بغداد حيث يجب أن تقيم دواما وكان بودي أن أكتب إليك قبل اليوم ومنذ وقت طويل لولا اني كنت متغيبة في الصيف بين ايطاليا وفرنسا فلما عدت تلقاني المشكل العائلي الذي تعلم وقد انتهى الأمر على خير ولله الحمد وبعد فقد نشرت لجنتنا في الشرق العربي وفي أمريكا الدعوة إلى الاحتفاء بيوبيل المقتطف فلبى الدعوة كثيرون وبعثوا إلينا بنفثاتهم شعرا ونثرا وانبرى إخواننا السوريون في البرازيل فأرونا مظهرا آخر من همتهم بتقديم هدية فنية جميلة على أني حتى الساعة لم أتلق منك شيئا وأنت تعلم مبلغ إعجابي بنتاج قلمك وتعلم أي مكانة في كتاب (الذكرى) لما تتحفنا به وكنت ذكرت سابقا رغبتك في درس التطور الإنشائي أو الفكري في العراق خلال نصف قرن وآثر المقتطف في ذلك التطور وانه لبحث خطير ننتظره منك.

ولما كانت الحالة في العالم العربي الآن تقضي بتأجيل اليوبيل فان الوفاء التاريخي يقضي بذلك أيضا لأن الجزء الأول من المقتطف لم يصدر في مطلع السنة الميلادية بل

في فصل الربيع وقد قررنا التأجيل كما ترى في نداء اللجنة المرفق بهذا وهذا يفسح في الوقت لدى الأدباء والشعراء لغاية اخر فبراير ١٩٢٦..

فأرجو أن تكون سفيرنا في العراق فتنشر في الصحف خبر هذا التأجيل مع شكر اللجنة الحار للذين تفضلوا فلبوا دعوتها والصحف التي أوصلت صوتها إلى الجمهور وأن تستحث الإخوان على إرسال نفثاتهم ليشاركو في إقامة هذا اليوبيل لا لتكريم مجلة علمية فحسب بل للاحتفاء بتطور الشرق خلال نصف قرن ولإقامة مظاهرة فخمة في سبيل لغتنا العربية الجميلة.

وتقبل ابتِ في الختام عواطف الاحترام والإكرام

مي

Obeikan.com

بين مي وسيمون بوفوار ومدام ريكاميه

مي زيادة ..

سيمون دي بوفوار ..

مدام ريكاميه ..

لا أتذكر واحدة دون أن تجتاحني الثانية والثالثة في نفس اللحظة !!

ثلاث نسوة تتشابه قصة كل منهنَّ .. ويتلاقي مسار الثلاثة عند نقطة نظام ومحطة توقف أو سير أو حتى دوران !!

عجباً لهُنَّ !!

كل منهنَّ كاتبة ومفكرة وفيلسوفة وعاشقة وصاحبة صالون ومجنونة عشق .. وساحرة الرجال وشاغلة الرأي العام !!

فهل تأثرت مي زيادة برفيقتيها على درب الإبداع والجنون والتميز ؟

يقيناً حدث هذا لدرجة الإمتزاج .. ولا ريب أن مي زيادة اتخذت منهنَّ مثالاً أعلى ونبراساً ومنهاجاً وسِكة ودرباً وعشقاً .

وتنفجر على مائدة استفهامات تتناثر في الأرجاء :

هل أرادت مي زيادة أن تصنع صالوناً أدبياً يهز الدنيا كـ مدام ريكاميه ؟!

الجواب : نعم .. أرادت وفعلت .

وهل بغت مي زيادة أن تجعل من جبران خليل جبران بطلاً كـ جان بول سارتر ؟!

نعم ولكنها فشلت في صناعة جبران شريكاً لعمرها وصديقاً لوجدها ورفيقاً لدربها وأنيساً لقلبها وفارساً أوحد لذاتها .

ولكن الواقع ..

أن مي زيادة تتشابه تماماً مع سيمون دي بوفوار ومدام ريكاميه حتى وإن ولدت بوفوار عام ١٩٠٨ !!

فالفِكر لا يُقاس بعُمر الميلاد بقدر ما يُقاس بتوأمة التجربة وتقارب الفِكر .

فماذا عن الثلاثة معاً ؟!

وما هي أوجه التقارب المتماثلة في تجارب ثلاث نسوة سطرنَّ تاريخهن الغرامي بالنار والبارود على درب العشق والإبداع والتميز ؟

...

■ ■ ■

obeikan.com

سيمون دي بوفوار المرأة المنصهرة دائماً

سيمون دي بوفوار المولودة في ٩ يناير ١٩٠٨ .. هي كاتبة وجودية فرنسية ارتبطت طول عمرها بعلاقة صداقة و حب مع الفيلسوف جان بول سارتر

ولدت في عام ١٩٠٨ في باريس لعائلة برجوازية .. والدها كان محام خسر أملاكه في الحرب العالمية الأولى. أمها عملت على تلقينها هي وأختها الصغرى مبادئ الكاثوليكية والتي ما لبثت دي بوفوار أن أعلنت كفرها بها

درست الفلسفة في جامعة «أكول نورمال سوبراير» (المدرسة العليا) والتي كانت جامعة تضم الذكور فقط حينها. وفي جيل ٢١ تخرجت من الجامعة. في عام ١٩٢٩ تعرفت على جان بول سارتر الذي كان وقتها طالب في قسم الفلسفة ونشأت قصة حب بينهما استمرت حتى وفاة سارتر عام ١٩٨٠ لكن بدون أنْ يلتزما بالزواج. في الاعوام ١٩٣١ - ١٩٤٣ درست بوفوار الفلسفة في ثانويات مختلفة في ارجاء فرنسا. في الاعوام ١٩٤١ - ١٩٤٣ عملت كبروفيسور (استاذه جامعيه) في السوربون. عام ١٩٤٣ نشرت روايتها الأولى «المدعوة».

هذه الأعوام كانت مهمة في صقل شخصيتها كفيلسوفة ومفكرة لا سيما في المجال النسوي. في عام ١٩٨١ كتبت «مباركة الانفصال عن سارتر» وبه وصف صعب للسنوات الأخيرة التي عاشها سارتر. تعتبر دي بوفوار أماً للتيار النسوي ما قبل عام ١٩٦٨ . وقد اشتهرت بصورة خاصة بفضل كتابها «الجنس الاخر» الذي نشرته عام ١٩٤٩.

توفيت بوفوار في باريس في الرابع عشر من ابريل (نيسان) عام ١٩٨٦ ودفنت في باريس إلى جانب جان بول سارتر .

من أهم أعمالها :

- رواية المثقفون.
- الجنس الآخر.
- المرأة بين الحب والزواج.
- نموذج المرأة الحديثة.
- ومقال : « خلق الغموضة ».

عرفت فرنسا كاتبات مرموقات خلال القرن العشرين مثل كوليت «١٨٧٣-١٩٥٤» ومارغريت يورسنار «١٩٠٣-١٩٨٧» غير أن سيمون دو بوفوار التى يُحتفل هذا العام بمرور مائة عام على ميلادها كانت أكثرهن شهرة وحضورا على المستوى العالمي.

وقد لا يعود ذلك فقط إلى علاقتها الوثيقة بجان بول سارتر الذى كانت أفكاره ومواقفه الأدبية والفلسفية والسياسية تثير عواصف هوجاء لا فى فرنسا وحدها وإنما فى العالم بأسره وإنما أيضا لأنها اختارت العيش خصوصا منذ نهاية الحرب الكونية الثانية فى قلب الأحداث التى عرفتها الإنسانية فى النصف الثانى من القرن العشرين.

فكانت مساندة لحركة المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازي وكانت إلى جانب سارتر عند تأسيسه لمجلة «العصور الحديثة» المدافعة عن الفلسفة الوجودية وعن الحرية والديمقراطية بصفة عامة والمنتقدة للجوانب المعتمة للرأسمالية. وكانت ضمن المثقفين الفرنسيين الذين ناهضوا الاحتلال الفرنسى للجزائر وطالبوا باستقلالها فى حين كانت الحرب تحرق الأخضر واليابس على أراضيها. وكانت ضد حرب فيتنام.

وفى كتابها «الجنس الثاني» وضعت الأسس الأولى التى قامت عليها الحركة النسوية فى العالم الغربى وذلك خلال السبعينات والثمانينات من القرن الماضي. وفى عام ١٩٧٠ وبعد أن هدأت ثورة ربيع مايو/ أيار الطلابية شاهدها الناس توزع مع جان بول سارتر جريدة «قضية الشعب اليسارية المتطرفة » التى كانت الناطقة باسم الشبيبة الماوية «نسبة إلى الزعيم الصينى ماوتسى تونغ».

■ ■ ■

opeikan.com

«باسيوناريا» القرن العشرين

لذلك قد يكونون على حق أولئك الذين سموها «باسيوناريا» القرن العشرين. وقد ولدت سيمون دو بوفوار عام ١٩٠٨ من أب ينحدر من عائلة نبيلة ومن أم تنتسب إلى عائلة غنية من منطقة «فاردان». وكان الأب لائكيا عاشقا للمسرح والأدب. أما الأم فكانت محافظة ومتمسّكة بالتقاليد. وفى سنوات المراهقة ارتبطت سيمون دو بوفوار بفتاة تدعى اليزابيت لاكوان وعنها سوف تتحدث كثيرا فى كتابها «ذكريات فتاة رصينة». وفى الوقت نفسه اشتدت الخلافات بينها وبين والديها وبدأت تبحث عن طريقة للفرار بعيدا عن البيت العائلي. وأمام من يعرفونها أو لا يعرفونها كانت تجاهر بعدائها لكل ما يتصل بالدين.

عقب حصولها على البكالوريا وذلك عام ١٩٢٤ انتسبت سيمون دو بوفوار إلى جامعة «السربون»- قسم الفلسفة- وأثناء سنوات الطلب فى الجامعة انشغلت بكتابة يومياتها التى سمتها «دفاتر الشباب» وفيها كتبت تقول «سوف أؤسس قوة ألجأ إليها إلى الأبد!». ولم تكن هذه القوة غير الأدب الذى سوف يصبح العنصر الأساسى فى حياتها حتى النهاية.

وسوف تكون هذه الدفاتر بمثابة التمارين اليومية التى تقوم بها سيمون دو بوفوار لكى تكون المرأة والكاتبة التى تطمح إلى أن تكون- وهذا ما نلاحظه فى هذه الفقرة التى كتبتها يوم ٣٠ أبريل/ نيسان ١٩٢٧ والتى فيها تقول «قوتي! أريد لكى أتغنى بها أن يكون لى الكبرياء الحماسى للنهر». أمس أمام باب المكتبة نظرت إلى ساحة «السربون» لأعاين كما قال كوكتو فى «السر المهني» أننا نكتشف فجأة الأشياء التى هى عاديّة للغاية.

وكان الطلبة الذين كانوا يسيرون فى الضوء يبدون كما لو أن فكرى هو الذى خلقهم. وقد أحسست بأن الحياة تغمرنى بكل ما فيها. وراحت تتسابق فى ذهنى ذكريات عن الكتب وعن لوحات أحببتها. وأمس قبل أن أنام شعرت بأننى أنا أنا التى فى قلب الحياة. غير أن هذا ليس مجديا. فالكلمات لا تضمن مثل هذا التأكيد.

■ ■ ■

obeikan.com

obeikan.com

الكائنات الذكية والحساسة

وفى فقرة أخرى من اليوميات كتبت سيمون دو بوفوار تقول «الحياة جميلة بكل اللوحات الجميلة التى رسمها الناس وبكل الكتب الرائعة التى أبدعوها وبكل الأفكار والنظم الفلسفية التى ابتكروها. وهى جميلة بفضل الكائنات الذكية والحساسة التى تعيشها وبفضل شمس الأيام الحارة وبطراوة الصباحات الرمادية قليلا وبفضل العلاقات السهلة والصداقات العميقة. وهى غنية بكل غنائي. أنا غنية!».

وفى جامعة «السوربون» تعرفت سيمون دو بوفوار على مارلو بونتى الذى سيكون فى ما بعد واحدا من أهم الفلاسفة الوجوديين. غير أن لقاءها بجان بول سارتر مطلع الثلاثينات من القرن الماضى هو الذى سوف يحدث منعرجا هائلا فى حياتها كامرأة وككاتبة وكمفكرة. وفى بدايات هذا اللقاء كتبت سيمون دو بوفوار تقول «كان سارتر يجيب بالضبط على تمنياتى وأنا فى الخامسة عشرة من عمري. وكان الصّنو الذين كنت أعثر فيه من جديد على جميع ميولى المفرطة وقد تأججت بها فيه الكفاية. معه سيكون باستطاعتى دائما أن أتقاسم كل شيء. وعندما فارقته فى أوائل شهر أغسطس/ آب كنت أعلم أننى لن أخرج من حياته أبدا».

ومنذ البداية اتفقت سيمون دو بوفوار مع سارتر على أن تكون المسألة الجنسية بينهما ثانوية.

لذلك كان بإمكان كل واحد منهما أن تكون له علاقاته الجنسية الخاصة. وبعض من هذه العلاقات سوف تكون بمثابة الفضائح الجنسية لدى وسائل الإعلام والرأى العام الفرنسي.

ووصف بعضهم العلاقة بين سيمون دو بوفوار وجان بول سارتر بأنها كانت «مغامرة ثقافية» كان الهدف الأساسي منها تقويض وتدمير الضوابط و«المعايير البورجوازية».

■ ■ ■

obeikan.com

صعود الفاشية

وخلال الثلاثينات لم يهتم الاثنان- أى دو بوفوار وسارتر بالأحداث السياسية الكبيرة التى هزت العالم فى ذلك الوقت مثل صعود النازية فى ألمانيا والفاشية فى إيطاليا والحرب الأهلية التى اندلعت فى إسبانيا عام ١٩٣٦ و«الجبهة الشعبية» التى حكمت فرنسا لفترة وجيزة من شهر يونيو/ حزيران ١٩٣٦ حتى نفس الشهر من عام ١٩٣٧ فقد كانت الفلسفة والأدب كل ما يشغلهما. وكان طموح كل واحد منهما كتابة أعمال تخرج عن العادى والمألوف وتنسف القوالب الجامدة. وكان سارتر قد أصدر فى ذلك الوقت عملين جلبا له اهتمام النقاد هما «الغثيان» وهى رواية و«الجدار» وهى مجموعة قصصية. أما سيمون دو بوفوار فلم تكن قد أصدرت أى شيء.

ثم اندلعت الحرب الكونية الثانية فجنّد سارتر وأرسل فى الحين إلى الجبهة. أما سيمون دو بوفوار فقد واصلت تدريس الفلسفة فى المعاهد الثانويّة مهتمة بالخصوص بالتلميذات الذكيات والجميلات وغير عابئة بالأخريات. وكانت تعيش حياتها وكأن شيئا لم يقع وكأن باريس لم تحتل من قبل النازيين. غير أن موقف سارتر سوف يكون مختلفا. فقد كانت الحرب بالنسبة إليه بمثابة الصدمة العنيفة التى جعلته يفتح عينيه وللمرة الأولى على حقائق لم يكن قد انتبه إليها قبل ذلك. وعن ذلك كتب ميشال كونتا يقول: كانت الحرب المنعرج الكبير فى حياة سارتر تلك الحرب التى لم يكن قد توقعها ولم يكن قد فهم أسبابها. وعندما سقطت عليه شعر كما لو أنه استقال ثقافيا لأنه لم يكن قد فكر قبل ذلك فيها.

وابتداء من ذلك أصبح مسكونا بحب عميق للسلم سلم كان قد عرفه فى

المدرسة العليا تحت تأثير تلامذة الفيلسوف آلان ولم يكن سارتر محبا للسلام بطبعه. كان بالأحرى مثقفا لامعا وكان أيضا شديد الاقتناع بأن العنف هو فشل الحوار وإنه من الضرورى اللجوء دائما وأبدا إلى الحوار العنيف والحاد ربما ولكنه يظل مع ذلك الوسيلة الأنجع لحل الخلافات. ولم يكن سارتر يفكر مثل سوريل الذى كان يرى أن العنف هو المولد للتاريخ. لذا من المحتّم المرور منه. وكان سارتر يميل بالأحرى إلى عنف المتمردين لكن من دون أن يعظمه أو يتخذ منه قيمة أساسية.

فى عام ١٩٤١ عاد سارتر إلى باريس بعد أن أمضى أشهرا طويلة فى الأسر. وعندما التقى بسيمون دو بوفوار شرع يحرضها على الخروج من حالة الفراغ الثقافى التى كانت تعيشها طالبا منها الانخراط مثله فى النضال ضد النازية. وفى ما بعد سوف تقول سيمون دو بوفوار «للأسف الشديد كان لا بد من اندلاع الحرب لكى أعلم أننى أعيش فى العالم وليس خارجه».

■ ■ ■

obeikan.com

مجموعة «الاشتراكية والحرية»

ولم تتردد سيمون دو بوفوار فى الانضمام إلى مجموعة «الاشتراكية والحرية» المناهضة للنازية والتى كان سارتر أحد الناشطين فيها. وكانت مهمتها توزيع المناشير فى محطات المترو وعند مدخل المعامل وإعداد النصوص التحريضية.

غير أن المجموعة سرعان ما اندثرت. وكان على سارتر وسيمون دو بوفوار أن يسافرا فى الصيف إلى «المنطقة الحرة» للالتقاء بأندريه جيد واندريه مالرو الذى كان قائدا فاعلا فى حركة المقاومة. غير أن هذا الأخير الذى كان قد اكتسب تجربة حربية هامة فى الهند الصينية وفى الحرب الأهلية الإسبانية اقتصر على مدهما بالورق والمال. وعندما أدرك سارتر أنه لن يكون عنصرا فاعلا فى حركة المقاومة استسلم للحياة «الرمادية» فى باريس «الحزينة». ولمقاومة الملل انكب على كتابة مسرحيات سوف تحقق له فى ما بعد شهرة عالمية واسعة.

كما أنه انصرف إلى إعداد المادة الأساسية لمؤلفه الفلسفى «الوجود والعدم». أما سيمون دو بوفوار فقد أصدرت كتابا حمل عنوان «الضيفة». ومنذ ذلك الحين أصبحت الأوساط الباريسية تتعامل معها ككاتبة وليس فقط كعشيقة لسارتر.. ولأنهما لم يشاركا فى حركة المقاومة بصفة ناجعة وفعلية فإن المؤرخة أنات فيفيوركا كتبت عنهما تقول «كان الاثنان- أى دو بوفوار وسارتر- يعيشان حياة الفرنسيين العاديين. ولم تحدث الحرب أى شرخ لا فى حياتهما ولا فى أعمالهما الأدبية. لقد فوّتا فرصة الالتزام النضالى الحقيقي ذلك الذى يمكن أن يلاقيا فيه حتفهما».

لكن حالما وضعت الحرب أوزارها وعادت باريس لتنخرط فى حياتها الصاخبة أصبح سارتر فيلسوف الحرية بامتياز وأصبح النقاد والقراء يتعاملون مع دو بوفوار

وكأنها الكاتبة التى عاشت فى قلب حركة المقاومة.

وفى باريس الضاحكة السعيدة بحياتها الجديدة بعد سنوات القتامة التى عاشتها تحت الاحتلال النازي كان الاثنان أى دو بوفوار وسارتر يتحركان وكأنهما بطلان. وكان المعجبون يتحلقون حولهم فى مقاهى «السان جارمان دى بويه» وساحة «الاوديون» وهم متلهفون لسماع كل كلمة ينطقان بها وكل فكرة يطلقانها.

ولأنهما شعرا بالأهمية الكبيرة التى أصبحا يحظيان بها فى المشهد الثقافى والفكري فإن سارتر وبوفوار سارعا بتأسيس مجلة «العصور الحديثة» التى ستصبح حال صدورها أرقى مجلة فكرية وأدبية عرفتها فرنسا عقب الحرب الكونية الثانية. ولأن الاثنين أى سارتر وسيمون دو بوفوار كانا متفقين على ضرورة عيش حياة جنسية حرة فإن كل واحد منهما انصرف باحثا عن ما يمكن أن يرضى غرائزه وشهواته الجنسية. فقد ارتبط سارتر بعلاقة حب مع ميشال فيان زوجة الفنان والكاتب بوريس فيان ومع نساء أخريات مثل الأمريكية دولوريس فانيتي.

■ ■ ■

opberikan.com

رسائل حب محمومة

أما سيمون دو بوفوار فقد عشقت أمريكيا يدعى نلسون الغرين كان يسميها «ضفدعتي» مرة ومرة أخرى «تمساحي». وكانت هي تكتب له رسائل حب محمومة. وفي واحدة من هذه الرسائل كتبت له تقول وكأنها أَمَةٌ تخاطب سيدها سأكون عاقلة سأغسل الصحون وأواني الطبخ سأكنس وسأذهب وحدي لأشترى البيض وحلويات «الروم». لن أمس شعرك ولا وجنتيك ولا كتفيك من دون إذن منك. وأبدا لن أفعل أشياء لا تسمح بها أنت...

ومع الغرين سافرت سيمون دو بوفوار إلى شيكاغو لتكتشف هناك بؤس الأحياء التي على حزام المدينة وحياة الهامشيين والمدمنين على المخدرات والعنف الذي يهيمن على العلاقات بين الزنوج والبيض. وكل هذا سوف يدفعها إلى النظر إلى الكثير من الأشياء والقضايا انطلاقا من رؤية جديدة وسوف يجعلها أكثر تضامنا مع الطبقات الكادحة ومع المعذبين والمقهورين في الارض.

وفي عام ١٩٤٩ أصدرت سيمون دو بوفوار «الجنس الثاني» الذي سوف يكون واحدا من أهم الكتب التي ألفتها خلال مسيرتها الأدبية والفكرية الطويلة. وقد أثار هذا الكتاب موجة عارمة من الغضب والسخط داخل الأوساط الأدبية والثقافية في فرنسا. فقد اتهم البير كامو سيمون دو بوفوار بأنها «تمس من شرف الرجال الفرنسيين».

ومخاطبا واحدا من المساهمين في مجلة «العصور الحديثة» قال الكاتب الفرنسي فرانسوا مورياك «لقد أصبحت أعرف كل شيء عن الثياب الداخلية لصاحبتكم!» وعلق الحزب الشيوعي الفرنسي على الكتاب قائلا بأنه سوف «يسلّي ويضحك

عاملات بيونكور».

وقد ردت سيمون دو بوفوار على التهجمات والانتقادات التى انهالت عليها عقب صدور «الجنس الثاني» قائلة «لقد نحتوا لى صورتين الأولى صورة فتاة مجنونة نصف مجنونة منحرفة »...« أما الصورة الثانية فصورة امرأة بحذاء مستو وبعقيصة. وهم يقولون إنى رئيسة كشاف وإنى رئيسة جمعية خيرية وإنى معلمة. لا شيء يمنعنى من أن أصالح بين الصورتين. يمكن أن أكون سيدة ماجنة بفكر كبير ورئيسة لجمعية خيرية. المهم أن أظهر للناس كما لو أننى غير طبيعية».

■ ■ ■

obeikan.com

سن النضج

ولكن لماذا عالجت هذا الموضوع موضوع المرأة فى كتابها «الجنس الثاني» ؟ مجيبة عن هذا السؤال كتبت سيمون دو بوفوار فى مؤلفها الآخر «سن النضج» تقول «ماذا يعنى بالنسبة إلى أن أكون امرأة ؟ » أبدا لم أشعر بالدونية لكونى امرأة. وأنوثتى لم تكن تسبب لى أى شعور بالنقص. وقد قلت كل هذا لسارتر. فرد عليّ قائلا «مع ذلك يا سيمون أنت لم تتربى بنفس الأساليب والطرق التى يتربى بها الطفل الذكر.. وعليك أن تنظرى إلى هذا عن قرب..».

وقد نظرت وعندئذ اكتشفت الشيء التالى « هذا العالم الذى من حلوى عالم ذكوري وقد تغذت طفولتى بالأساطير التى نسجها الرجال وأبدا لم أرد الفعل بنفس الطريقة التى أرد بها لو كنت طفلا. ومن شدة اهتمامى بهذا الموضوع تركت كل شيء جانبا لأهتم بموضوع المرأة فى مجمله».

ومنذ الخمسينات والستينات من القرن الماضى أصبح «الجنس الثاني» إنجيل زعيمات الحركات النسوية فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى العالم بأسره. وعن «الجنس الثاني» كتبت الألمانية انغريد كاستلير تقول «صادمة اليمين كما اليسار كانت بوفوار من دون شك سابقة لعصرها »...« فلقد تمكنت ولأول مرة من أن تستعمل السجل الفلسفى الذى يسمح بالتفكير فى العلاقة بين الجنسين عوض أن نفعل ذلك بحسب التعابير التجريبية وإعطاء هذا التفكير المكانة الضرورية لكى نجعل منه خطابا أكثر انتشارا».

وعند اندلاع الحرب التحريرية فى الجزائر رفعت سيمون دو بوفوار صوتها مع سارتر ومع مثقفين فرنسيين آخرين للتنديد بجرائم جيش الاحتلال هناك وقامت

بحملات للتضامن مع جبهة التحرير الشعبية. ومع جيزال حليمي كانت ضمن لجنة التضامن مع المناضلة جميلة بوباشا التى عذبها الجنود الفرنسيون واغتصبوها قبل أن يحكم عليها بالإعدام. ولم تكن سيمون دو بوفوار تتردد فى النزول إلى الشوارع للمشاركة فى المظاهرات المناهضة للحرب أو لتوزيع المناشير الداعية إلى إنهائها.

وفاة سارتر عام ١٩٨٠ أصدرت سيمون دو بوفوار كتابا حمل عنوان «موكب التوديع» وفيه تروى علاقاتها به خلال السنوات العشر الأخيرة التى سبقت وفاته. وفى هذا الكتاب هى تروى بدقة متناهية التدهور الصحى والجسدى لرفيق حياتها وتدين ألاعيب بنى ليفي المثقف اليهودى الذى كان تروتسكيا «نسبة إلى ليون تروتسكي» والذى أصبح صهيونيا متطرفا. وقد حاول بنى ليفى استدراج سارتر إلى أفكاره الصهيونية الشيء الذى أثار غضب سيمون دو بوفوار. وفى كتاب «موكب التوديع» نقرأ ما يلى «موته يفصلنا موتى لن يجمعنى وإياه. هكذا هو الأمر. وعلى أية حال لقد كان رائعا أن تتوافق حياتى مع حياته لفترة طويلة».

وكانت قد مرت ستة أعوام بالضبط على وفاة جان بول سارتر عندما لفظت سيمون دو بوفوار أنفاسها لتدفن فى ثوب أحمر وفى إصبعها الخاتم الفضى الذى كان قد أهداه إياها عشيقها الأمريكى نيلسون الغرين. وقد رافق جثمانها إلى مقبرة «مونبارناس» آلاف الناس من المعجبين والمعجبات. وعندما مر الموكب أمام مقهى فى حى «مونبارناس» والتى كانت من مرتاديه وقف النادلون والعاملون فيه ليؤدوا لها تحية الوداع الأخير.

■ ■ ■

علاقة سيمون بوفوار وسارتر

العلاقة المحيرة بين جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار صيف عام ١٩٢٩ الإسمين الأكثر حضوراً بين طلاب الفلسفة اللامعين في الإيكول نورمال ونزهاتهما في حديقة اللوكسمبرغ في باريس هو موضوع كتاب كارول سيمور- جونز. كان سارتر أكبر من سيمون بثلاثة أعوام وكانت قد تكونت له سمعة سيئة وكان عرف عنه كتاباته وأفكاره في استنباط فلسفة غريبة قائمة على الكون كما عرف عنه تصرفاته غير الطبيعية في حفلات الطلبة. في صبيحة يوم ما في حديقة اللوكسمبرغ وجدت بوفوار نفسها تقع في حب سارتر وتحت سحره القريب كان ساحراً بليغاً لبقاً هزلياً وقبيحاً بشكل ساحر.

استمع سارتر إلى أفكار هامول «جودة» ما وراء نطاق الحيرة او المعرفة ثم امضى الساعات الثلاث التالية في تمزيق فلسفتها الى قطع صغيرة .

بعد عدة اشهر تقدم الى خطبتها ذكرته دي بوفوار انه وصف الزواج بـ«مؤسسة برجوازية حقيرة» وقدمت له عرضاً رومانسياً: إنهما سيوقعان عقداً لمدة عامين قابل للتجديد حول علاقتهما اخذت بين يديها رأسه ملاحظة أنْ رائحته كانت مزيجاً من التبغ والمعجنات ثم قبلته.

وهكذا بدأت واحدة من اكثر العلاقات اثارة للحيرة في تاريخ الادب رسائل حب سارتر كانت عبارة عن فلسفة اكاديمية عجيبة حب ورمانسية وخيال علمي .

نحن وعيان ذائبان في واحد يطوفان بين الارض والسماء وجسدان آليان صغيران نحن وبالنسبة الى أسى بوفوار فان جسديهما كانا منفصلين .

لقد تم تعيين كل واحد منهما في وظيفة تدريسية في موقعين مختلفين ثم جنّد

سارتر إلزامياً وأمضى تسعة أشهر كسجين حرب .

وفي خلال تلك الفترة لم تكن علاقتهما جيدة جداً ووجهات نظرهما بشأن الزواج والعلاقات بشكل عام كانت مختلفة تماماً ومع ذلك فقد تواصلت علاقتهما أكثر من قرن وحافظا طوال هذه الفترة على العهد الذي قطعاه على أنفسهما أن يخبر أحدهما الآخر بكل شيء يحصل له.

وعند وفاته قالت دي بوفوار: «إنَّ وفاته قد فرقتنا وموتي لن يوحدنا هذه هي الأمور كان كافيا في انسجام حياتنا طوال هذه المدة» .

سارتر وبوفوار مادتان صعبتان لكتابة تاريخ حياتيهما وكاتب السيرة يجد في الأمر صعوبة وكل من يحاول المعرفة التامة بعقلية كل واحد منهما سيصبح مثل احد تلاميذ سارتر في مدرسة (الليسيه) كان أحدهما يدخل إلى الصف وينظر «بقرف» ثم «يحدق في التلاميذ بعد صمت ٤٥ ثانية ثم يصبح كل هذه الوجوه ليس فيها إشراقة الذكاء» .

وعلى الرغم من هذه الصعوبة فان المؤلفة سيمور جونز قدمت سيرة مقروءة عن حياتهما وهي على الرغم من تركيزها على دقائق حياتهما الخاصة فانها ايضاً تتطرق الى رواياتهما والمسرحيات والمقالات والذكريات والحملات السياسية التي جعلت من الشهيرين فولتير وفيكتور هيجو القرن العشرين .

كانت هي تتوقع الكثير من سارتر وكان هو عازماً على اختبار سلطته اذ كان لديه من الأعداء بقدر الأصدقاء .

وقد رفض فلسفة «الوجودية» التي حقق بها شهرته وحظه وقدره .

وقد تحققت مكانة الإثنين عبر قضايا اليسار السياسي حتى من دون أن يشاركهم أحياناً الأفكار ولكن لا يمكن مطلقاً اعتبار مواقفهما انتهازية وهما عندما عارضا

الحرب الفرنسية في الجزائر واستخدام التعذيب من قبل الجيش الفرنسي فإنهما بالكاد تخلصا من الموت على أيدي الإرهابيين في الجناح اليميني ومواقفهما السياسية قد لا تبدو جميعها اليوم سليمة .

والفلاسفة الذين يحاولون تغيير العالم يرتكبون بعض الأخطاء والكتاب الذين يريدون أن تسمع أصواتهم كان عليهم التوصل إلى حل وسط مع الرقابة. عدد قليل من الكتاب احتفظوا بحريتهم الفكرية ومنها سارتر وكامو وحتى وهو في سجنه كسجين حرب كتب سارتر واخرج مسرحية عن المقاومة الفلسطينية أيام الاحتلال الروماني .

وماتت سيمون دي بوفوار فى ١٤ ابريل ١٩٨٦ فى باريس .

■ ■ ■

صالون مدام ريكاميه

ولدت مدام ريكاميه في ١٧٧٧ في باريس .. ففي بدايات عصر النهضة وبينما كانت مدام ريكاميه مستلقية على الأريكة يتحلق حولها الفنانون ليرسموا أجمل صاحبة صالون أدبي في تلك الفترة لم تكن ريكاميه لتستوعب أن سلوكها الارستقراطي سيكون شاهدا ودليلاً مسبقا على سلوك تقتضي الحياة إعادته برسم الخدمة ولم يدر بخلدها أن جلوساً متوقداً كجلستها ستثير في الفنانين الحماسة ليؤرخوا ثقافة الارستقراط في مواجهة الانتيك وسوق المقاصيص.

ريكاميه كانت تستخدم موهبة هؤلاء الأنتيك الفقراء والعزل إلا من الموهبة لإبراز وجهها الحضاري بعيداً عن أزقة سوق المقاصيص الفرنسية والفنانون كانوا يرسمون هذه الارستقراطية بنية أنواع الشبق كله في آن واحد.

ريكاميه لم تكن جميلة فقط بل ساهمت في تأسيس واقع ثقافي لأهم مرحلة في التاريخ الأوروبي لكن دافيد وباسكال راحوا يشهدون ثقافة تروج باسم النهضة فيما الواقع يسحق مثقفين من نوع آخر لا تبهجهم الأضواء ولا يعجبهم التقافز أمام مدام ريكاميه.

أما ماجريت فكان أكثر جرأة كونه جاء متأخراً كان أكثر تحدياً في مواجهة هؤلاء الارستقراطيين ممن يريدون جعل الثقافة بمثابة الانتيك ومحطة سياحية يتفرج عليها السذج من الناس لا لشيء. سوى أن هالة من الغبار كانت تغري هؤلاء.

لكن ماجريت لم يكن ليرى في مدام ريكاميه سوى الموت متأنقاً أمام الرسامين عمق اللوحة كما رسمها باسكال وهيئة الكرسي أيضا.. لكن تابوتاً كان يجلس أمامنا وليست صاحبة الصالون الأدبي والفاتنة مدام ريكاميه .

صالونات فرنسا

عرفت فرنسا الصالونات الأدبية في القرن السابع عشر وكثرت في القرن التالي واكتسبت طابعاً عالمياً بمن كانوا يترددون عليها وبالقضايا التي كان المرتادون يتناولونها وكان يقوم عليها سيدات اتصفن بالذكاء والثقافة والحس الاجتماعي الرهيف والجمال أيضاً .

وكانت هذه الصالونات بمثابة تجمّعات مثالية لتبادل الآراء والأحاديث المتنوعة كما أنها كانت تتناول كل جديد وطريف.

وبعض هذه الصالونات أدت دوراً بالغ الأهمية في إلقاء الضوء على الآداب الأجنبية ودفع الأدباء المغمورين إلى عالم الشهرة والذيوع.

كان أقدم صالون أدبي عرفته فرنسا هو صالون أوتيل دي رامبوييه وكانت صاحبته كاترين دي فيفون١٦٦٥ -١٥٨٨ م مركيزة رامبوييه .. وهي سيدة على قدر كبير من الجمال مصقولة التربية والدتها رومانية ووالدها فرنسي عمل سفيراً لبلاده في روما العاصمة الإيطالية .آثرت «دي فيفون» أن تترك البلاط جانباً وأن تفتح صالونها عام١٦٠٨ م للنبلاء والطبقة الأرستقراطية والمثقفين الراغبين في تنمية مواهبهم إلى مستوى هذه الطبقات فأعدت قاعاته وزينت حجراته لتبعث البهجة والمتعة في نفوس زواره وليكون منتدى لمجتمع الصفوة الراقية بأكملها.

في هذا الصالون كانت تناقش مختلف التيارات الأدبية الحديثة التي تفجّرت حول فرنسا في إسبانيا أولاً ثم في إيطاليا فيما بعد فعرف روّاده أصول الرواية الحديثة وما سوف يُطلق عليه أدب التصنّع أو الحذلقة أو الأدب المثقف الذي يعتمد على زخرفة الأسلوب والإيغال في التصوير.

وكان الكاتب المسرحي «كورني»١٦٨٤-١٦٠٦ م من روّاد هذا الصالون حيث قرأ على روّاد الصالون أصول مسرحياته ومنها مسرحية السيد وهو شخصية أندلسية .وفيه ارتجل «بوسيه»١٧٠٤-١٦٢٧ م- وكان وقتها شاباً -خطبة امتدت حتى منتصف الليل قال عنها «فولتير» إنه لم يسمع بمثلها لا من قبل ولا من بعد.

كما تردد على ذات الصالون الشاعر الكبير «مالرب»١٦٢٨-١٥٥٥ م وظهر أثر القصائد الإيطالية واضحاً في شعره وبخاصة في أيام شبابه الأولى قبل أن ينضج على حين اهتم «فوجيلا»١٦٥٠-١٥٨٥ م بنقاء اللغة الفرنسية ومقاومة التسرب الأجنبي إليها في الألفاظ أو التراكيب ولقد استخدم أعضاء المجمع اللغوي الفرنسي مؤلفاته في الدفاع عن اللغة الفرنسية.

أما الشاعر «شبلان» فكان يبذل أقصى جهده لتثبيت مبادئ الكلاسيكية في الأدب وقد قالت عنه «جولي» ابنة صاحبة الصالون إنه :«شاعر ملحمي تعس فاتن الجمال ومُتعب حتى النخاع».

وتعكس أعمال «فولتير»١٦٤٨-١٥٩٨ م التي نُشرت فيما بعد روح هذا الصالون بدقة .وفيما بعد أصبح الروائي «بلزاك» من روّاد الصالون أيضاً ويعد بعضهم أن عالمية مصادره واتجاهاته تعود إلى تأثير أجواء هذا الصالون والحوار الذي كان يُجريه بين قاعاته.

وكانت «مدام لافيت» من بين الشخصيات التي تتردد على الصالون ولعله ألهمها روايتها الفذة سيدة وهي رواية تعبق بأريج أندلسي نفاذ.

وحين بلغت ابنتا صاحبة الصالون «جولي» و«انجليك» السن التي تُهيء لهما الاشتراك في المناقشات انضمتا إلى روّاده وأبديتا استعداداً أدبياً عالياً ومبكراً فهما تقرأان مسرحيات «كورني» وتنتقدانها وتعكفان على دراسة كتاب «مقال في المنهج».

لـ«رينيه ديكارت» ولقد بلغ إعجابها بهذا الفيلسوف غايته.

وقد امتدت الحياة بصاحبة الصالون «كاترين دي فيفون» حتى شاهدت مسرحية «موليير» الساخرة «المتحذلقات الساخرات».

أما صالون «مدام ريكاميه» فقد فتح أبوابه مع بداية القرن التاسع عشر وهي زوجة لأحد كبار رجال البنوك في فرنسا وأصبح صالونها يجمع أهم الأدباء والشخصيات الاجتماعية المرموقة.

وكذلك كان هناك صالون الروائية الفرنسية الشهيرة «جورج صاند» التي جاءت إلى باريس عام ١٨٣١ م ليصبح صالونها ملتقى لكبار الأدباء والشخصيات.

وهناك أيضاً صالون اكتسب شهرة عالمية وأدى دوراً مهماً في الحياة الأدبية في أوروبا هو صالون «مدام دي ستال» وهي أديبة كبيرة وناقدة عظيمة هيأت المناخ لتطوير رائع في النقد والأدب وقد فتح صالونها في «كوبيه» أبوابه على دفعات بين عامي ١٧٩٥ م و ١٨١١ م لكثير من الأدباء المشهورين الذين ينتسبون إلى عدد من الدول والقوميات المختلفة وكان الصالون إبان هذه السنوات البوتقة التي انصهرت فيها الخلافات القومية الأوروبية وأطل المفكرون من خلاله على آداب الأمم الأخرى.

وخارج فرنسا اشتهر صالون «الدوقة مازرين» في لندن في القرن السابع عشر وقام بالدور نفسه الذي قامت به الصالونات الفرنسية ومثله صالون «ليدي هولاند» في القرن الثامن عشر.

وفي عام ١٧٥٠ م أنشأت «مدام نوردان فليشت» أول صالون أدبي في ستوكهولم عاصمة السويد.

وفي ألمانيا يعد صالون «راحيل فارنهاجن فون إنزه» التي ولدت في برلين في مايو

عام١٧٧١ م وتوفيت في مارس عام١٨٣٣ م من أشهر الصالونات الأدبية في الأدب الألماني وكان ملتقى الشعراء والسياسيين وكبار شخصيات المجتمع والأرستقراطيين. وكان من أشهر الأسماء التي تتردد على صالونها «جان باول» و«لودفيج تيك» و«إرنست فون بفول» و«فريدريش شليجل» و«فريدريش دي لاموت فوكيه» والأمير «لويس فرديناند» وخطيبته «باولينه فيزبل».

و«راحيل فارنهاجن» هي أديبة ألمانية تنتمي إلى الحقبة الرومانسية ولكن كتاباتها كانت تُعبّر في الوقت نفسه عن أفكار وعصر التنوير في أوروبا وكذلك كانت تنادي إلى تحرير المرأة .وكان الشكل الأدبي المفضّل لديها هو كتابة الرسائل والمذكرات الذي كان منتشراً بين أديبات القرن التاسع عشر .وقد تميزت بأسلوبها الرائع في الكتابة وقد نشر الجزء الأكبر من كتاباتها بعد وفاتها في ١٨٤٩ م.

■ ■ ■

obeikan.com

صالون مي

كانت مي فتاة جميلة .. جمالها شرقي يرتدي مسحة من أخيلة الغرب .. وكانت جاذبيتها ليست في جمالها فحسب .. بل في عقلها الذي كان يبهر عمالقة الفكر والأدب في هذا العصر .. ومنهم الدكتور طه حسين والمفكر عباس محمود العقاد والكاتب مصطفى صادق الرافعي وخليل مطران وأحمد لطفى السيد وعدلي يكن وغيرهم كثيرون كانت في عيونهم جميعاً شعاعاً جميلاً .. يتدفق فكراً وأدباً وثقافة مع لطف في الأخلاق وأسلوب مهذب .. أنيق في الترحيب والاستقبال .. فكان بيتها ملاذاً للجميع لا تحت تأثير مشاعرهم التي تحركت نحوها .. بل أيضاً تحت تأثير هذا الجو العقلي الذي كان من النادر جداً وجوده عند غالبية نساء ذلك الزمان .

كان عصر الحجاب .. حجاب الوجه وحجاب التقاليد الاجتماعية الصارمة خاصة تجاه المرأة وخروجها العام إلى المجتمع . وكانت مي التي نشأت في الاوساط المارونية ذات الثقافة الأوربية مختلفة تماماً عن صورة المرأة الشرقية في هذا الوقت .. فجذبت العقول كما جذبت القلوب .

وكانت مي الفتاة الشابة القادمة من لبنان هي الوحيدة في عصرها التي استطاعت أن تحرر فكرها وحياتها من أسلوب الحياة السائد بين النساء في ذلك الوقت في مصر .

ولكن كيف ولدت فكرة الصالون في خاطر مي ؟

تأثرت مي بتجربة شهيرة في مطلع النهضة الأوربية خاصة في عصر لويس الرابع عشر في فرنسا حيث كان صالون مدام ريكاميه .. وكانت سيدة على جانب كبير من العلم والذكاء جعلت من إحدى غرف بيتها منتدى لتحريك الأفكار وتبادل الرؤى

الثقافية والفكرية وعرفت هذه الغرفة بـ « الغرفة الزرقاء» . كما كان هناك صالون آخر شهيراً هو صالون مدام دوستايل .

وتأثرت مي كثيراً بصالون مدام دوستايل من حيث اهتمام مناقشاته وندواته بالتراث العالمي كله فقد كانت مي تتقن عدة لغات قراءة وكتابة .

لم يكن هذا هو السبب الوحيد الذي دفع بالفكرة إلى رأس مي .. بل جاء الإيحاء من أستاذها أحمد لطفي السيد الذي كان من أهم الذين تأثرت بهم مي وتتلمذت على أفكارهم واطاعت نصائحهم . والتأثير الأكبر الذي أحدثه أحمد لطفي السيد في حياة مي هو تشجيعها على دراسة اللغة العربية وإتقانها وكذلك قراءة القرآن والفقه الإسلامي وهذا ما شجعها على الكتابة باللغة العربية بعد أن كانت تكتب فقط باللغات الأجنبية التي تجيدها . وكان أول ديوان لها باسم «زهرات حلم» باللغة الفرنسية.

ويبدأ في مايو ١٩١٣ أشهر صالون أدبي شهده القرن العشرون صالون مي .. ليكون ملتقى كبار مفكري وأدباء وفناني مصر وسوريا وكبار الأدباء الأوربيين الزائرين لمصر .

كيف كان شكل صالون مي؟.. ماذا كان يدور في أمسيات الثلاثاء الفريدة ؟ كيف كانت نجمة الأدب والفكر تشرق بذكائها ونبوغها خلال تلك الأمسيات .. وكيف كانت تخلب عقول وقلوب كبار مفكري عصرها ؟ ماذا لو أدرنا عجلة الزمن لنعود إلى الزمن الجميل . ونستمع إلى ضيوف مي من عمالقة الفكر والأدب وكيف وصفوا هذا الصالون الأدبي الفريد..

*** يصف الكاتب اللبناني سليم سركيس صالون مي فيقول :**

مساء كل ثلاثاء يتحول منزل إلياس أفندي زيادة صاحب جريدة « المحروسة»

إلى منزل فخم في باريس .. وتتحول مي التي لا تزال في العقد الثاني من عمرها إلى مدام دوستايل أولادة بنت المستكفي أو وردة اليازجية في شخص ومدارك الآنسة مي ويتحول مجلسها إلى فرع من سوق عكاظ وتروج المباحث العلمية والفلسفية والأدبية في مجلس يحضره إسماعيل صبري وشبلي شميل وخليل مطران وأحمد زكي باشا . هؤلاء جميعاً يهزون بأحاديثهم ومناقشاتهم أغصان شجرة ذات ثمر . ويحركون وردة ذات أريج والآنسة مي بينهم تناقش هذا وتدافع عن ذاك..

ويصفها المفكر الكبير محمود عباس العقاد فيقول:

«كل ما تتحدث به مي ممتعا كالذي تكتبه بعد روية وتحضير فقد وهبت ملكة الحديث في طلاوة ورشاقة وجلاء ووهبت ما هو أدل على القدرة من ملكة الحديث وهي ملكة التوجيه وإدارة الحديث بين مجلس المختلفين في الرأي والمزاج والثقافة والمقال فإذا دار الحديث بينهم جعلته مي على سنة المساواة والكرامة وأفسحت المجال للرأي القائل الذي ينقضه أو يهدمه وانتظم هذا برفق ومودة ولباقة ولم يشعر أحد بتوجيه الكلام منها وكأنها تتوجه من غير موجه وتنتقل بغير ناقل وتلك غاية البراعة في هذا المقام».

ويتحدث عميد الأدب العربي طه حسين ن ذكرياته في صالون مي .. فيقول :

«كان الذين يختلفون إلى الصالون متفاوتين تفاوتاً شديداً فكان منهم المصريون على تفاوت طبقاتهم ومنازلهم الاجتماعية وعلى تفاوت أعمارهم وكان منهم السوريون ومنهم الأوربيون على اختلاف شعوبهم وكان منهم الرجال والنساء وكانوا يتحدثون في كل شيء ويتحدثون بلغات مختلفة وبالعربية والفرنسية والانجليزية خاصة» .

ولكن كيف وأبن بدأ أهم وأشهر صالون أدبي في القرن العشرين .. صالون مي ؟

كانت البداية في الحفل الكبير الذي أقيم في بهو الجامعة المصرية لتكريم الشاعر خليل مطران

بمناسبة الإنعام عليه بوسام رفيع .. وبعد أن ألقت مي كلمة الكاتب المغترب جبران خليل جبران نيابة عنه . خطفت القلوب واستأثرت على العقول .. وبعد أن عقبت على كلمة جبران اشتعل حماس الجمهور لهذه الأديبة الشابة .. وصارت منذ تلك اللحظة حديث الناس.

في هذه الليلة دعت مي الحاضرين إلى الصالون الأدبي الجديد الذي قررت أن تقيمه في بيتها مساء كل ثلاثاء . في بيتها بشارع مظلوم وهكذا بدأ صالون مي الذي استمر لفترة طويلة حوالي ربع قرن يجمع عمالقة الفكر والثقافة والسياسة والأدب .. وتدور في أمسياته أعمق وأغنى المناقشات والحوارات .. ويتبارى الكتاب والشعراء والفلاسفة في عرض أفكارهم وثقافاتهم ورؤاهم المختلفة .. وتحول هذا الصالون إلى منبر قوي يدعم تيار الفكر والثقافة الذي كان مزدهراً في ذلك الوقت ويسهم بدور هام في تحريك الأفكار وشحذها وتفاعلها الايجابي فأثرت الحياة الأدبية في مصر وغيرها من بلاد العالم العربي.

وكان المترددون على ندوتها يتحدثون في شتى الموضوعات الفكرية والأدبية . يتكلمون بالعربية أو بغيرها من اللغات الأجنبية أما مي فكان حديثها دائما باللغة العربية الفصحى .

ورأى هؤلاء المفكرون في مي الشخصية الفريدة التي جمعت بين الثقافة الرفيعة والأخلاق الفاضلة فازدادوا إيماناً بضرورة تعليم الفتاة وتشجيعها على الثقافة وصقل الذات بالمعرفة .

وأطلق عليها أدباء ومفكرو عصرها العديد من الألقاب منها : الأديبة .. النابغة

.. فريدة العصر .. ملكة دولة الإلهام .. حلية الزمان .. الدرة اليتيمة .. وغيرها من الألقاب التي تعكس قدر الاحترام والإجلال اللذين حظيت بهما مي من كتاب عصرها.

ولكن ورغم كل هذا التوهج واللمعان في سماء الفكر والأدب .. هل كانت أديبتنا النابغة سعيدة بما حققته من شهرة ونجاح وتفرد ؟

هل أضاءت تلك الشمس المشعة حياتها .. أم أشرقت فقط في حياة الآخرين ؟!

وفي النهاية ..

لقد احترقت مي زيادة حين هجرها الجميع وانفضَّ مولد الصالون الأشهر ؟!

وعجباً لهذا التشابه العجيب في حياة مي زيادة وسيمون دي بوفوار ومدام ريكامييه !!

عجباً لملحمة العشق الخالدة وجنون التفرُد المتميز ولهيب الغرام السرمدي الذي أضاء الخافقين في تاريخ كل منهنَّ !!

عجباً للأقدار التي جمعت بينهن رغم بُعد المسافات والجغرافيا والتاريخ والموطن !

إنها عجائب الأقدار وخوارق الأفكار وفلتات الزمن .

رحم الله الجميع ..

بعد أن خلَّفوا لنا تأريخاً أدبياً ذهبياً زاخراً ومائدة إبداعية عامرة بشتى صنوف الإبداع الفِكري انطلقت شرارته من صالون مي زيادة .. وتفجرت قنابله من معارك غرام كبار نجوم المرحلة حول امرأة واحدة هي :

الآنسة مي ..

oolbeikan.com